المكتبات
وازدهارها في قرطبة الإسلامية

الدكتور جاسم لطيف جاسم السامرائي

تمهيد

للمكتبات دور عظيم في نشر العلم والمعرفة، وتعميم الثقافة وازدهارها في المجتمعات. وكان للعرب المسلمين اهتماماً متميزاً في اقتناء الكتب وإقامة المكتبات، كما كان للأندلس شهرتها في ذلك، ولقرطبة ريادتها.

عرف العالم الإسلامي جميع أنواع المكتبات الموجودة اليوم تقريباً، مثل المكتبات الخاصة بالأفراد، والمكتبات الخلافية، والمكتبات الخاصة بالدولة، والمكتبات الملحقة بالمساجد، ومكتبات المعاهد العليا والجامعات، ومكتبات المدارس والمكتبات المتخصصة مثل مكتبات المستشفيات وغيرها[١].

والأرجح أن نشأة المكتبات عند العرب المسلمين كانت مع المساجد، فضلاً عن المكتبات الخاصة. ولا يعرف بالضبط متى أُنشئت مكتبات المساجد، ولكن يبدو أن العادة جرت من أقدم عصور الإسلام أن يودع الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية النافعة، كوقف لفائدة المطالعين والمصلين، ويبدو أن مكتبة المسجد ظهرت للوجود منذ أتخذ المسلمون المسجد مكاناً للدراسة[٢]. ويمكن القول أن بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو أول مكتبة إسلامية بالمعنى البسيط لهذه الكلمة[٣].

وبدأت المكتبات الإسلامية بالظهور منذ مطلع العهد الأموي ؛ وأهم مثال على ذلك مكتبة (بيت الحكمة) التي أنشأها الخليفة معاوية بن أبي سفيان في قصر الخضراء بدمشق، وتطورت في عهد خلفائه من بعده[٤].

أما العصر العباسي فهو عصر قيام المكتبات الإسلامية وأزدهارها بأنواعها المختلفة، فقد أشتهرت مكتبة (بيت الحكمة) – التي أنشأها الرشيد وطورها المأمون – شهرة عظيمة. وعند الفاطميين كان لمكتبة الحاكم بأمر الله (دار الحكمة) شهرتها

المتميزة. وخلال الحكم الأموي لبلاد الأندلس، كان لهذه البلاد شهرة لا تضارع بما فيها من المكتبات المختلفة.

وأهم ما تميزت به المكتبة الإسلامية هو :

الميزة والصفة الإسلامية : فقد أُنشئت من أجل تعليم الناس أمور دينهم، وتثقفهم ثقافة دينية. كما تميزت بصفة تعليمة تربوية. وتميزت بصفة عملية، كونها مركزاً من مراكز البحث والدرس والتمحيص والتأليف. كما تميزت بصفة أجتماعية، فقد كانت منتدى اجتماعياً تمارس فيه حياة راقية. وهناك ميزة دعائية وأن لم تكن واضحة كالصفات الأخرى، ولكن وجدت مكتبات إسلامية تقوم بدور الدعاية لمذهب معين، أو عقيدة، أو فكرة خاصة (بيت الحكمة ببغداد في عهد المأمون، ودار الحكمة في القاهرة، مثلاً لذلك)[٥].

مكتبات قرطبة

النشأة والاهتمام

أنتشرت المكتبات العربية الإسلامية في الأندلس، فقد كان أغلب حكام الأندلس ولاسيما الأمويين رعاة محبين للعلوم والآداب، ومهتمين بنشر العلم والمعرفة. ولذلك كانت المكتبات المنتشرة في المدن الأندلسية تزخر بالكتب التي تتناول مختلف فروع العلم والمعرفة، وإن كانت قرطبة تفوقها جميعاً. يذكر المؤرخون أن قرطبة تميزت أكثر من غيرها بحبها للكتب، بينما تميزت أشبيلية بحبها للطرب. ويتضح هذا الحُكمْ من مناظرة دارت بين ابن رشد (من قرطبة) وبين أبن زهر (من أشبيلية)[٦]. وكانت سوق الكتب رائجة في قرطبة، وهي من أشهر الأسواق وأحفلها بالحركة[٧] فقد سرى الشغف بالكتب إلى كافة فئات المجتمع القرطبي.

وظهر الاهتمام بالكتب والمكتبات – بشكل خاص – منذ وقت مبكر من عهد الإمارة الأموية رغم الانشغال بتثبيت الدولة وإقرار الأمور فيها. وقد كان للمشرق الإسلامي في البداية دوره المهم في رفد الأندلس بالكتب المختلفة، وأن أُستقبِل بعضها أستقبالاً سيئاً ولاسيما بعض الكتب الدينية والفقهية. وشارك في إدخال الكتب بعض

العلماء، والأمراء والتجار وغيرهم. كان جميع الحكام الأمويين تقريباً يولون اهتماماً بالعلوم والآداب والفنون ونشر المعرفة، فقد ذكر أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ) – الملقب بالداخل أو صقر قريش، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس – كان من أهل العلم وعُرف بفصاحته وكتابته للشعر[٨].

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) رجلاً على مستوى رفيع من الثقافة والعلم، متميزاً في علوم الشريعة والفلسفة[٩]، كما كان "شاعراً مطبوعاً ذا همةٍ عاليةٍ[١٠]. ويُعد عبد الرحمن الأوسط راعياً كبيراً للفنون والآداب[١١]، وقد شغف بجمع الكتب، حتى أنه قبل توليه الحكم، أرسل شاعره عباس بن ناصح إلى المشرق للبحث عن الكتب القيمة[١٢] واستنساخها، ومنها الكتب اليونانية والفارسية المنقولة إلى العربية، فجمع طائفة كبيرة منها.

وعرف عن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ) علمه بالحساب، وإغداقه على العلماء والفقهاء[١٣]. واستمر الاهتمام بالعلم والعلماء من قبل حكام بني أمية في الأندلس، واقترن بذلك الاهتمام بالكتب والمكتبات.

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ) تحسنت الأحوال الاقتصادية لجهوده الكبيرة في دعم استقرار البلاد، فكثرت الأموال، ونشط العلماء في الاقبال على العلم والمعرفة حتى أصبحت الأندلس في عهده قبلة العلماء والأدباء من الشرق والغرب على السواء[١٤]. وقد أُشتهر الخليفة عبد الرحمن بحبه للكتب، حتى بلغت شهرته في ذلك الأمبراطور البيزنطي رومانوس (Romanos) الذي رأى أن أغلى هدية يمكن ان يقدمها أليه هي كتاب جديد، وذلك رغبة في كسب مودة الناصر؛ فأرسل إليه كتابين من الكتب اليونانية[١٥]، ومنها كتاب ديسقوريدس وهو نسخة رائعة كتبت بحروف من ذهب وزينت برسوم جميلة تمثل النباتات المذكورة في متن الكتاب. ومما يدل على حرص الخليفة الناصر على اقتناء الكتب للاستفادة منها، وتوفيرها في أيدي العلماء، طلبهُ من الأمبراطور البيزنطي أن يرسل إليه عالماً ليترجم له الكتاب، فأرسل إليه الأمبراطور، الراهب نيقولا[١٦].

ويبدو أن ولدي الناصر قد تأثرا بصفات أبيهما حتى فاقاه شغفاً بالكتب وهما : ولي العهد الحَكَم، وأخوه عبد الله[١٧]، وكان لتربيتهما ودراستهما تحت إشراف أجل العلماء دوره في نشأتهما العلمية والثقافية العالية. وقد تنافس الأخوان في جمع الكتب مع الحرص على اختيار أفضلها، إلا أن المنية عاجلت عبد الله، فقُتل من قبل الناصر[١٨] (أبيه)، ليرث الحكم مكتبة أخيه، ثم مكتبة أبيه الناصر.

تعد مدة حكم الخليفة المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) أزهى أيام الأندلس التي حظي فيها العلم والعلماء بالرعاية والاهتمام، وكان للكتب والمكتبات نصيبها الوافر من ذلك الاهتمام، فلم يبلغ أحد ما بلغه الحكم من حبه وجمعه للكتب. ويبدو أن الحكم قد أفاد من قوة الدولة أثناء حكم والده، ومن توفر الأموال والرفاه، فضلاً عن ثقافته الواسعة وشخصيته العلمية الممتازة، " فأقام للعلم والعلماء سلطاناً نفقت فيها بضائعه من كل قطر " كما يذكر ابن خلدون[١٩].

وقد أشاد ابن حيان بصفات الخليفة الحكم العلمية، وتقدمه في العلوم الشرعية، وعنايته بتحقيق الأنساب، وتأليف قبائل العرب، وأستدعاء رواة الحديث من جميع الآفاق وإيثار مجالس العلماء، وشغفه بجمع الكتب بصورة لم يسمع بها[٢٠].

ويبدي ابن حزم أيضاً اعجابه بشخصية الحكم العلمية، ويذكر في أكثر من موضع في مؤلفه الذي يتناول الأنساب، أنه ينقل من (خط الحكم)[٢١].

أما ابن الخطيب، فيجمل صفات الخليفة الحكم المستنصر، بقوله: "وكان – رحمه الله – عالماً فقيهاً بالمذاهب، إماماً في معرفة الأنساب، حافظاً للتاريخ، جماعاً للكتب، مميزاً للرجال من كل عالم وجيل وفي كل مصر وأوان، تجرد لذلك وتهمم به فكان حجة وقدوة وأصلاً يوقف عنده[٢٢].

ويتعجب ابن الأبار أشد العجب، من تغافل ابن الفرضي، وابن بشكوال في كتاباتهم عن تراجم علماء الأندلس عن الإشارة إلى الحكم ومنزلته ومكانته العلمية وعلى الرغم من الأعداد الضخمة من الكتب التي اقتناها " لم يكن الحكم كحاطب ليل، بل كان حريصاً على الكتاب الجيد مادةً ونسخاً وتدقيقاً"[٢٣]. وقلما وجد كتاب في مكتبته إلاّ وله فيه قراءة،

أو وجهة نظر في أي فن أو علم كان، فيكتب نسب المؤلف معرفاً إياه ذاكراً مولده ووفاته، ويأتي بمعلومات لا يكاد يعرفها أحد غيره(٢٤).

وكان الحكم المستنصر يبعث إلى أكابر العلماء المسلمين في الأقطار المختلفة يطلب منهم تزويده بنسخ من مؤلفاتهم، باذلاً في سبيل ذلك الصلات الجزيلة مع رسله المكلفين لذلك الغرض، ومن ذلك أنه بعث لأبي الفرج الأصفهاني بألف دينار من الذهب العين، ومذكراً أياه بنسبه الأموي، ليحصل منه على نسخة من كتابه الشهير (الأغاني)، فوصلت النسخة إلى الحكم قبل أن يحصل عليها أحد غيره في العراق، كما أرسل له أبو الفرج، كتاباً آخر حول نسب بني أمية، يشيد بمجدهم، ليجدد الحكم العطاء له ؛ وكذلك فعل الحكم مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي، ليحصل على النسخة الأولى من شرحه لمختصر ابن عبد الحكم(٢٥). ومع محمد بن القاسم بن شعبان بمصر، ومحمد بن يوسف الوراق، الذي صنّف له كتاباً ضخماً في (مسالك أفريقيا وممالكها). وقد جهد الحكم المستنصر في حث العلماء وتشجيعهم على القدوم إلى الأندلس، كما بذل جهوداً كبيرة في حث الأندلسيين على التأليف، وغيره من أوجه النشاط العلمي(٢٦).

وهكذا يتضح أن الحديث عن الكتب والمكتبات في الأندلس، سينجح – في معظمه– إلى الحكم المستنصر وجهوده الرائدة في ذلك، بعدّه واحداً من أعظم ملوك الأرض أهتماماً بهذا المجال.

وإذا صحت عبارة (الناس على دين ملوكهم) فإنها تصدق على موضوع الإهتمام بالكتب والمكتبات في قرطبة، إذ لم يكن الإهتمام بإنشاء المكتبات قاصراً على الحكام، بل كان اهتماماً عاماً لأهل قرطبة، يستوي في ذلك الأمراء والوزراء والعلماء والموسرين، بل وغير الموسرين من طلاب العلم. ولم تتخلف المرأة في هذا المجال فقد كان للنساء مشاركة عظيمة في استنساخ الكتب وإقامة المكتبات. وشمل هذا الإهتمام الفئات الأخرى من المجتمع من غير المسلمين، والذين تأثروا بذلك المناخ العلمي والثقافي، فكانت لهم مكتباتهم.

وبعد عهد الخليفة الحكم المستنصر أخذ الضعف يدبّ في جسم الخلافة الإسلامية في الأندلس، وبدلاً من تطور الإهتمام بالكتب والمكتبات، نرى تراجعاً واضحاً في هذا

المجال؛ وقد لعبت المطامع السياسية دورها، فالحاجب المنصور الذي أشتهر بحبه للعلم والفلسفة قام باحراق الكتب التي تتعلق بالمنطق والفلسفة والفلك والتنجيم وما شابهها الموجودة في مكتبة الحكم ارضاء للعامة والفقهاء. واضطر الخليفة هشام المؤيد إلى التفريط بمكتبة الخلافة هذه وبيع اكثر كتبها أثناء الفتنة وحصار البربر، واضطلع الحاجب واضح – أحد موالي الحاجب المنصور – بهذه العملية. وقد تعرضت قرطبة بعد ذلك إلى فتن وهزّات، وأضطراب شديد، وتدمير وتخريب، وهي ظروف لا تساعد على رعاية العلم وتشجيع تأليف الكتب وإقامة المكتبات، الاّ في حدود بسيطة. ففي عصر الطوائف كانت مدينة قرطبة قد أنكمشت رقعتها، ونقص عدد سكانها، وتخربت معظم منشآتها وأصبحت قصورها اطلالاً دارسة يبكيها الشعراء ويندب عليها وينوح الأدباء. وفي عصر الموحدين يصفها الشقندي على أساس ما كانت عليه في عصر الخلافة الأموية كماضٍ زاهر قد ولى، فيصف ما سمعه عن قنطرتها، ومعالمها الرائعة المختلفة[٢٧]. وأدت تلك المحن إلى هجرة الطلاب والأساتذة من قرطبة إلى غيرها من المدن الأخرى ناشرين فيها هواية جمع الكتب في عواصم ملوك الطوائف[٢٨].

وعلى الرغم من تلك الظروف القاسية والأوضاع المضطربة، لم تعدم قرطبة من يهتم بالكتب ويقيم مكتبة، وإن لم تعد لقرطبة مثل تلك الشهرة والريادة.

أنواع المكتبات في قرطبة

عرفت قرطبة خلال حقبة الحكم الإسلامي لها أنواعاً مختلفة من المكتبات منها :

المكتبات الخلافية (مكتبة قرطبة)

وهي أضخم أنواع المكتبات الموجودة نظراً لأن حكام بني أمية كانوا من محبي العلوم والآداب والشغف بالكتب. وتعد مكتبة قرطبة أشهر وأعظم المكتبات الخلافية في بلاد الإسلام كما يشير القلقشندي[٢٩].

ويذكر أن أول من بدأ بتأسيسها هو الأمير عبد الرحمن الأوسط، الذي كان مولعاً بالكتب، ويُعد أول من عني بجمعها من أمراء الأندلس، فكانت جهوده في هذا السبيل نواة

لإنشاء مكتبة قرطبة العظيمة هذه. وتعاقب على تطويرها حكام بني أمية وبذلوا في ذلك الأموال الطائلة لشراء الكتب والتصانيف الثمينة من مختلف البلدان. وقد نمت واتسعت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حتى بلغت شهرة عالية [٣٠]، وهو أمر غير مستغرب مع خليفة بلغت شهرة رعايته للعلوم والآداب، أن الملوك كانوا يرسلون الكتب إليه كأغلى الهدايا.

على أن هذه المكتبة وصلت إلى قمة ازدهارها في عهد الخليفة الحكم المستنصر، حتى عُدت أعظم مكتبات ديار الإسلام، ولم يفق المستنصر من سبقه أو من جاء بعده، فكان اهتمامه بجمع الكتب يفوق أي اهتمام آخر، وذكر المؤرخون شهرة شغفه بالكتب، وجهوده في سبيل اقتنائها حتى "ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم"[٣١]. ويذكر أن ما جمعه من كتب يضاهي ما جمعه خلفاء بني العباس طيلة عصورهم، "إلاّ ما قيل عن الناصر بن المستضئ"[٣٢].

ونتيجة لكثرة الكتب التي تجلب لهذه المكتبة، فقد ضاقت بها خزائنها في ابهاء قصر الخلافة ولم تعد تستوعب المزيد من الكتب، ولذلك قرر الحكم بناء مكتبة أخرى كبيرة تتسع لتلك الأعداد الضخمة، ولضخامتها فقد استغرق نقل الكتب إلى هذه المكتبة الجديدة مدة ستة أشهر، وقيل أن عدد تلك الكتب بلغ (أربعمائة ألف مجلد)[٣٣]، ويذكر أن فهارسها كانت تضم أربعاً وأربعين كراسة في كل كراسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط[٣٤]. فإذا كانت هذا أعداد كتب الشعر، فكم هي أعداد الكتب الأخرى؟! وقد يتبادر تساؤل حول ضخامة أعداد الكتب في هذه المكتبة، وأن هناك شيئاً من المبالغة في تلك الأعداد، إذ ان هناك أيضاً من يذكر أكثر من هذا العدد، ولكن يبدو أنها كانت تحتوي على أعداد ضخمة من الكتب إذا ما عرفنا أن هذه المكتبة هي في الأصل مجموعة مكتبات تشمل : مكتبة الحكم نفسه عندما كان ولياً للعهد، ومكتبة أخيه عبد الله الذي عرف باهتمامه بالعلم وجمعه للكتب، ومكتبة أبيه الناصر وأسلافه الخلفاء "حيث شكل ذلك كله نواة كبيرة لمكتبة أكبر"[٣٥] وأحسب أن نقل تلك الكتب في ستة أشهر كفيل بإزالة الدهشة وتأكيد لعظم جهود الحكم في اقتناء الكتب.

مكتبات خاصة

كان لرعاية بني أمية للعلوم والآداب، أثره الكبير في نشأة مناخ ثقافي عام، فكان الإقبال على الكتب واقتنائها منتشراً بين الناس في تلك المدة في قرطبة، ولذلك أحتلت المكتبات الخاصة فيها مكاناً بارزاً بين المكتبات الإسلامية، فقد حرص الأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم، والأغنياء وغيرهم من العامة على امتلاك مكتبات خاصة بهم. وكان الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر العامري (ت ٣٩٢هـ) قد اراد أن يتفوق على الحكم المستنصر في ميدان الثقافة وهواية جمع الكتب، فاتصل بعدد من العلماء والأدباء ليحصل منهم على نسخ من مؤلفاتهم، وكانت له مكتبة، ولولده عبد الله مكتبة أخرى جمعا فيها صنوف الكتب.

ومن أشهر المكتبات الخاصة مكتبة ابن فطيس (القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن سليمان، يكنى أبا المطرف) المتوفي سنة ٤٠٢ هـ. وقد انشأ لها مبنى خاصاً، وكان ابن فطيس مشهوراً بجمع الكتب وحرصه عليها، لا يسمع عن كتاب جيد الا طلب شراءه أو نسخه، وإن كلفه ذلك ثمناً باهضاً[٣٦]، فتكونت لديه مكتبة عامرة ضخمة تحوي نفائس الكتب في مختلف العلوم، فكانت مكتبته " أضخم مكتبة في قرطبة بعد مكتبة الحكم المستنصر"[٣٧]، وحينما قررت أسرته بيع كتبه وفاته استمر البيع في مسجده عاماً كاملاً وبيع ما ثمنه (٤٠ ألف) دينار على الرغم من بيعها في وقت الشدة[٣٨].

ومن أشهر المكتبات الخاصة أيضاً مكتبة يحى الغافقي المعوف بابن الموصول (ت٤٣٣هـ) الذي كان يجمع منذ صباه الكتب والمقالات بعناية فائقة وكان مؤثراً للكتب على كل لذة حتى أجتمع له ما لم يجتمع لأحد بعد الحكم الثاني، وباع ورثته المكتبة واغلوا فيها حتى قوّمت الورقة في بعض كتبها بربع مثقال [٣٩].

وهناك العديد من جماعي الكتب وأصحاب المكتبات منهم :

- فطين : أحد موالي المنصور، الذي جمع عدداً عظيماً من الكتب الصحيحة[٤٠].
- أبو علي الغساني : أسس مكتبة كانت تعد في عهده من أغنى المكتبات وأحسنها اختياراً، وعدّت كتبه مصادر ثقة.

- الوزير جعفر بن مكي بن ابي طالب محمد بن مختار القيسي اللغوي، ويُكنى أبا عبد الله (ت٣٥٣هـ).
- هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بالصابوني [٤١](٤٢٣هـ)، كان ناسخاً وجماعاً للكتب.
- محمد بن أحمد بن عون المعافري (٥١٢هـ).
- سلمة بن سعيد بن سلمة بن حفص بن عمر بن يحيى بن سعيد بن مطرف بن برد الانصاري، رحل إلى المشرق وجمع الكثير من الكتب من اقطاره، وساق ثمانية عشر حملاً من الكتب في كل فن من العلم، دفع فيها مالاً كثيراً[٤٢].
- قاسم بن سعدان بن عبد الوارث بن محمد بن يزيد، ويكنى أبا محمد (ت٣٤٧هـ) وقد اوقف مكتبته عند وفاته على الطلبة مودعاً أياها منزل محمد بن محمد ابي دليم[٤٣].
- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اسد الجهني الطليطلي، ويكنى أبا محمد (ت٣٩٥هـ)[٤٤].
- يحيى بن مالك بن عائذ بن كيسان، ويكنى أبا زكرياء (ت٣٧٥هـ) وقد قضى بالمشرق أكثر من عشرين عاماً، وهو الذي يشير إلى أن كتبه التي كتبها، لو عُدت لكانت أكثر من أيامه التي قضاها في المشرق.

ولم يقتصر أقتناء الكتب على الموسرين فقط، بل وجدت مكتبات لدى أفراد الطبقة الفقيرة والبسطاء من الناس، منها على سبيل المثال (مكتبة محمد بن حزم) وكان معلم مدرسة فقير، يعيش على ما يكسبه من التدريس للأطفال، يساعده في ذلك أبنه وابنته، أستغل تلك المبالغ البسيطة التي يدخرها لشراء الكتب، كما كان يقوم بنسخ كتب يستعيرها من أصدقائه، وكان أدباء قرطبة يحقدون عليه حينما يصحح لهم كتبهم أو عندما يحصل على نسخ ثمينة فريدة في رحلاته إلى المشرق، ورغم مظهره الذي يدل على الفاقة والعوز فإن مكتبته كانت مثالاً لما يمكن أن يحققه الشغف بالكتب القيمة عند الهواة[٤٥].

وهناك (مكتبة أبو القاسم) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهسراني ويعرف بابن الخرار (٤١١هـ)، والذي كان يعيش من شراء الثياب وقصرها وبيعها بعد ذلك في قرطبة، فيبتاع بقسم من ثمنها كتباً ليقرأ الناس عليها[٤٦].

ولأن قرطبة كانت تحتوي على أكبر قدر من الكتب في الأندلس، وكان اهلها أشد الناس حباً لإنشاء المكتبات فقد أصبح من خلال ذلك يكتسب الفرد وجاهته في المجتمع إلى حد أن الأشخاص العاديين الذين لم ينالوا قدراً من العلم، كانوا حريصين على الا تخلو منازلهم من مكتبات تشتمل على كتب مختارة بعناية فائقة ولهذا كان لبعض ما يقال أثر عظيم في النفوس، كأن يقال "فلان... في مكتبته نسخة فريدة" أو "قد تمكن فلان من الحصول على كتاب بخط الناسخ فلان المشهور..."[٤٧]، ولذلك وجد الكثير ممن كان يمتلك مكتبة – من الموسرين – لغرض الزينة والتفاخر، وكانوا ينافسون في شراء الكتب، حتى لا يستطيع أحد شراءها معهم كما ذكر الحضرمي– الرحالة والعالم الأندلسي – في قصته المشهورة في سوق الكتب بقرطبة[٤٨].

النساء والمكتبات

لم يقتصر اقتناء الكتب، وانشاء المكتبات على الرجال فقط، بل كان للنساء دورهن المشرق في ذلك، سواء نساء الطبقة العليا أو العامة في المجتمع القرطبي، " فلم تكن المرأة الأندلسية كما تخيلها كتَّاب كثيرون جالسة مسترخية على الوسائد الوثيرة... " كما هو حال المرأة الإنجليزية، التي احقترها (ريكارد) جامع الكتب الإنجليزي المشهور[٤٩].

برزت الكثيرات من الاندلسيات في قرطبة ممن يجمعن الكتب، وينسخنها، ويحذقن الكتابة وسائر فنون العلم والأدب، فمن نساء الخلافة والطبقة العليا:

- مزنة (ت٣٥٨هـ): كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر التي فاقت النساء بحسن الخط [٥٠].
- لبنى (ت٣٩٤هـ) : كاتبة الخلفية الحكم المستنصر وأشتهرت بحذقها الكتابة والخط مع المامها بالعلوم الأخرى[٥١].
- عائشة بنت أحمد بن محمد القادم القرطبة (ت ٤٠٠هـ) : أشتهرت بمقدرتها الفائقة على نسخ الكتب بخط جميل[٥٢]، ولم يكن في زمانها من يعدلها فهماً وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة وجزالة وعفة، وقد توفيت عذراء عازفة عن الزواج. وتعد مكتبتها من أشهر مكتبات قرطبة في ذلك الوقت[٥٣].

- راضية، وتُدعى نجم (ت٤٢٣هـ) تقريباً : وهي التي اعتقها الخليفة الحكم وتزوجها لبيب الفتى، آلت بعض كتبها إلى ابي محمد بن خزرج[٥٤].
- خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي : زوج عبد الله بن أسد الفقيه، والتي حبست كتبها عل أبنتها – أبنة الفقيه –[٥٥].

وقد أحترفت الكثير من نساء المجتمع القرطبي مهنة الكتابة والنسخ للمصاحف، والكتب الدينية[٥٦]، وذكر أنه كان يوجد في الربض الشرقي وحده (مائة وسبعون) أمرأة يعملن يومياً في نسخ القرآن الكريم بالخط الكوفي – فقط –، ولذلك يعيد (خوليان ريبيرا) التساؤل – في انبهار – إذا كان ذلك في واحد من الأحياء " فكم يكون عدد الموجودات في باقي أحياء قرطبة"[٥٧]؟!

مكتبات غير المسلمين

سرى الشغف باقتناء الكتب إلى النصارى واليهود في المجتمع القرطبي، وكان الكثير منهم يجيدون العربية ويتذوقون ثمرات التفكير العربي من أدب وشعر وفلسفة وغيرها[٥٨]. فقد كان للمناخ الثقافي المزدهر، فضلاً عن روح التسامح التي انتهجها المسلمون، دوره الكبير في ذلك التأثر. كانت معابد اليهود تزخر بالكتب التي يجلبونها من المشرق باعداد كبيرة، وقد أولوا عنايتهم بالدراسات العربية، فاعتادوا الكتابة بها والعناية بتكوين مكتبات عربية[٥٩].

ويبدو أن النصارى الذين عاشوا في ظل دولة الإسلام في الأندلس قد تأثروا إلى حد كبير باللغة والثقافة العربية، " فقد سرت اليهم العادات الإسلامية، وتعلموا اللغة العربية، وكتبوا بها، واقتنوا مكتبات عربية"[٦٠]، ويمكن أن نلمس ذلك بوضوح من خلال نص يُروى عن القس الأسباني المتعصب (الفارو) الذي عُرف باشتطاطه في بُغض الإسلام، فقد كتب في القرن التاسع الميلادي يقول[٦١]: "إن أخواني المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتنفيذها، بل لتعلم أسلوب عربي بليغ، وا أسفاه، أنني لا أجد اليوم علمانياً يُقبل على قراءة الكتب الدينية أو الأنجيل، بل ان الشباب المسيحيين الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغةً الا العربية، ذلك

انهم يقبلون على كتب العرب في فهم وشغف و (يجمعون منها مكتبات ضخمة) تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها ".

مكتبات عامة

يذكر (ريبيرا) أن المكتبات في الأندلس كانت كلها خاصة، وإنما " كانت ببعض المساجد كتب يستخدمها الطلاب، ولم يكن هناك من خدمة عامة غير هذه "، بل وينكر على جازيري Gasiri قوله الذي يشير فيه إلى أنه كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة. ويذكر – ريبيرا – أيضاً أن مكتبة الحكم الثاني لم تكن مفتوحة للشعب(٦٢).

ومع ذلك فهناك من الكتاب المحدثين من ذكر وجود المكتبات العامة في بلاد الإسلام، وهي المكتبات التي يكون فيها الدخول للجميع، لها ابنتيها الخاصة، وتشرف عليها الدولة كما في عصرنا، " لكن هؤلاء الكتاب لا يشيرون إلى المصادر الأولية التي اعتمدوا عليها، ثم [أنه] لم يُعثر في النصوص الخاصة بهذا العصر على ما يشابه مثل هذه المكتبات"(٦٣).

ويبدو أن المساجد قد قامت بهذا الدور إلى حد كبير نظراً لانتشارها بكثرة، وقد كانت محور الحياة العلمية، وقيام الدراسة فيها أوجب توفر المكتبات في خدمة المطالعين وطلاب العلم.

مكتبات المساجد والمدارس

كان الجامع عند المسلمين – فيما يتعلق بالتعليم– بمثابة الجامعة الحديثة في عصرنا، وكان جامع قرطبة من اشهر جامعات العلم" يتهافت عليه الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي والعالم المسيحي على السواء"(٦٤). وكانت الحلقات الدراسية في جامع قرطبة لا تقتصر على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية فحسب، بل تعدتها إلى جميع العلوم الطبيعية من رياضة وفلك وكيمياء وطب وجغرافيا وتاريخ وغيرها من العلوم. وكانت ترصد لهذه الجامعة مبالغ ضخمة، وأوليت مكتبته اهتماماً كبيراً، فأنفق عليها كثير من الأموال حتى تكونت فيه المكتبة الضخمة التي استفاد منها جميع الرعايا(٦٥). هذا

ويذكر أن عدد المساجد قد زادت من عدة مئات في عهد عبد الرحمن الداخل (٤٩١ مسجداً) إلى عدة آلاف في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٨٧٧ مسجداً) وهناك من يذكر أقل من ذلك[٦٦].ويعرف عن المسلمين تزويدهم للمساجد بالمصاحف والكتب الدينية وغيرها ولذلك تكونت المكتبات في المساجد في خدمة العامة. كما أنتشرت المدارس في قرطبة، وبلغ فقط عدد المدارس التي يتعلم فيها أبناء الفقراء والضعفاء والمساكين بالمجان (سبعاً وعشرين مدرسة)[٦٧] وكان ينفق عليها كثيراً وتزود تلك المدارس بالمصاحف والكتب.

تنظيم المكتبات

كان للمسلمين عناية ببناء المكتبات وتنظيمها وإدارتها لكي تؤدي خدماتها للقراء والرواد على احسن وجه[٦٨]. وتظهر العناية في حُسن هندسة وتخطيط البناء، وتزويده بالأقسام والغرف المختلفة، كغرف خزانات الكتب والموظفين، وقاعات المطالعة وغيرها. وكانت المكتبات الكبرى توضع تحت إدارة ثلاثة أشخاص: المشرف الأعلى : ويسمى الوكيل، وأمين المكتبة : ويسمى الخازن، ومساعد يسمى المشرف[٦٩]. " وأُلِحقَ بأغلب المكتبات غرفة أو غرف أعدت لجلوس النساخ وممارستهم عملهم، وقد زودت تلك الغرف بمستلزمات من اثاث وتجهيزات ومحابر واقلام وورق... الخ "[٧٠]. وهنالك المناولون الذين يقومون بارشاد القراء نحو أماكن الكتب واعارتها داخلياً وخارجياً، ثم هناك فئة المستخدمين المسؤولة عن تنظيف المكتبة وترتيب الأثاث ونقل الكتب، وما إلى ذلك من الأعمال[٧١].

ويفهم من خلال نقل مكتبة قرطبة العظيمة – في عهد الحكم – بعد أن ضاقت بها أبهاء قصر الخلافة وتكدس الكتب فوق بعضها على الرفوف أن البناء الذي نقلت إليه أعد ليكون مكتبة منظمة تضم تلك الأعداد الكبيرة من الكتب، بحيث يسهل الوصول إلى المطلوب. وقد قُسمت المكتبة إلى عدة أقسام : قسم للكتب، وقسم للادراج والفهارس، وقسم للنساخين والمجلدين، وقسم للمراجعين للكتب التي تدخل المكتبة – أي الكتب الجديدة، وكان يشرف على هذه المكتبة العظيمة، أخو الحكم المستنصر، ويدعى عبد

العزيز بن عبد الرحمن الناصر[٧٢]. ويُعرف اسم (تليد)[٧٣] الخصي، الذي كان أحد أمناء هذه المكتبة وهو مسؤول عن تكوينها وحفظ سجلاتها، وصيانة الكتب في أماكنها. وجاء في خبر عنه يذكر أن عد الفهارس يبلغ (٤٤) فهرسة في كل فهرسة منها (٥٠) ورقة[٧٤]. وهناك العديد من الموظفين في المكتبة يقومون بأعمال الوراقة والنسخ والتجليد؛ كاسحاق ابن محمد بن اسحاق، وعباس بن عمر الوراق، واحمد بن سعيد، وكذلك ظفر البغدادي – الوراق – الذي وفد إلى الأندلس[٧٥]. وسبقت الإشارة إلى وجود نساء كن ينسخن الكتب، ومنهن من يعملن ذلك لمكتبة الحكم. وهناك أيضاً أمهر المزوقين الذين يقومون بتزيين الكتب بالحليات البديعة والرسوم التوضيحية. كما يوجد موظفون مختصون يقومون "بمقابلة الكتب الواردة إلى المكتبة وتدقيقها من التحريف والتصحيف؛ وممن كلف بهذه المهمة القاضي أبو بكر السليم الذي أستخدمه [الحكم المستنصر] في المقابلة لدواوين بيت الحكمة... "[٧٦] وهناك الكثير غيره.

ذلك عن مكتبة الخلافة، أما المكتبات الخاصة فيبدو أيضاً أنها كانت على قدر كبير من التنظيم، فمكتبة ابن فطيس خطط بناؤها بحيث يمكن رؤية جميع خزائن الكتب فيها من مكان معين، وقد طليت جدرانها وسقفها باللون الأخضر، وكذلك لبست فرشها ودستورها ونمارقها باللون الأخضر. وكان يعمل عند ابن فطيس في هذه المكتبة (ستة) من النساخين لقاء رواتب شهرية، وكان أمين مكتبته أديباً من أفاضل أدباء المدينة وهو محمد بن عيسى أبي كدر الحضرمي[٧٧].

أما مكتبات البسطاء والذين لا يقدرون على استئجار امناء فقد كانوا يهتمون كثيراً بأمور تنظيمها بمساعدة اقاربهم كما في كما في مكتبة المعلم محمد بن حزم – السابق ذكره–.

مأساة الكتب

بلغ مجتمع قرطبة شهرة لا يدانيه فيها مجتمع آخر في الشغف بالكتب وإقامة المكتبات، وقد ظلت هذه الهواية مزدهرة طيلة الحكم الأموي، إلى أن بدأت الأحوال السياسية تضطرب في قرطبة بعيد رحيل الحكم المستنصر، الذي خلفه غلاماً لا يفقه

عظم مسؤولية الحكم، فتحولت مقاليد الأمور بيد الحاجب المنصور بن أبي عامر المعافري، وكانت البداية على يديه حين اشعل شرارة النار التي احرقت الكتب من مكتبة المستنصر التي تحوي الفلسفة والمنطق والفلك والتنجيم وغيرها، رغبة في تحقيق أغراض سياسية(٧٨)، رغم ما اشتهر به من حبه هو أيضاً لهذه الكتب، ثم يقوم الخليفة هشام مضطراً ببيع الكثير من كتب والده، وقد أمر باخراج الكتب وبيعها اثناء حصار البربر الحاجب واضح : من موالي المنصور بن أبي عامر. وقد نُهب ما تبقى من هذه المكتبة عند دخول البربر قرطبة أثناء الفتنة في مطلع القرن الخامس الهجري، وتوزعت كتبها في المدن المختلفة.

وحينما جاء المرابطون، أمروا بإحراق كتب الفلسفة أينما وجدوها، وقد أحرقت كتب الغزالي، كما سلبت المكتبات في عهدهم. وفي عصر الموحدين كانت الأوامر بحرق كل كتب المذهب المالكي، وقد نقلت من الأندلس قوافل لا حصر لها تم احراقها علناً في مدينة فاس(٧٩). ومع كل تلك المحن لم تعدم قرطبة محبي الكتب والمكتبات.

على أنه بعد سقوط قرطبة في ايدي الأسبان المسيحيين، ثم بقية المدن الأندلسية الأخرى ارتكبت أبشع جرائم التاريخ على الاطلاق في حق الكتب وفكر الإنسان، فقد قدموها إلى السنة النيران، نيران الحقد الأعمى، بل وصل الأمر أن أحرقوا أيضاً من وجدوا لديه كتباً من المسلمين. ولم يتبق منها – أي الكتب– إلا القليل وهو ما وصل بعضه إلينا، ليعرف العالم من خلاله بعضاً من امجاد العرب المسلمين، وتاريخ حضارتهم التي علمت الكثير للبشرية.

وهكذا يتضح مما سبق أن العرب المسلمين كان لهم دور ريادي في مجال إقامة المكتبات في الأندلس، وهم كذلك في المشرق، وذلك يعني ريادتهم في مجال العلوم، وتأليف الكتب على نحو لم تعرفه الدنيا، وهو ما يعني أيضاً ريادتهم الحضارية. فما كان لدى الحكم المستنصر من الكتب، يفوق كثيراً ما لدى دول أوروبا مجتمعة حينها وقد يكون هذا – ربما– ما دفع (ستانلي بول) غيرةً للقول: بأن الحكم كان " دودوة كتب " وأن شغفه بها قد شغله عن متابعة أمور الدولة، مما أدى إلى سيطرة المنصور بن ابي عامر على شؤونها. ثم يضيف بول أن منصب الملك لا يهيئ لصاحبه أن يبلغ الذروة في العلم.

أن تشبيه بول، غير موفق (دودة كتب) وكذلك حكمه، فالواقع يكشف خطر هذا الرأي، ذلك أن الدولة في عهد المستنصر تمتعت بالأمن والاستقرار والازدهار، لاسيما وقد مهد لذلك وأقره الخليفة الناصر، والده الذي كان هو الآخر من محبي العلم والعلماء والكتب، ثم أن الحكم نفسه عرف مجاهداً شجاعاً، كان يخرج للجهاد ويخمد كل ما يهدد الدولة، كما أثبت مقدرة سياسية عالية في تصديه لكثير من المشاكل والمعضلات.

ولم يكن الحكم نكرة في هذه حتى يصدر (بول) ذلك الحكم – الرأي– إذ أن كثيراً من خلفاء بني أمية في الأندلس عرفوا بشغفهم بالعلم واقتناء الكتب والاغداق على العلماء، كما أشتهروا في الوقت نفسه بانهم مجاهدون غزّاؤون. كما أشتهر غيرهم من العظماء في بلاد الإسلام كالناصر العباسي، وأسد بن الفرات فاتح صقلية... ثم الم يقال بأن (الاسكندر الأكبر) كان جليس العلماء والفلاسفة، اراد ان يعمم عالماً على النموذج اليوناني !!. على ان ستانلي بول يناقض نفسه منذ البداية، حين يحاول أن يتغافل أن المنصور بن أبي عامر نفسه، كان عالماً ضليعاً، أشتهر بحبه للعلم والكتب حتى قيل أنه كان ينافس الحكم المستنصر.

ولم يكن انتشار المكتبات في الأندلس وقرطبة بشكل أكبر يعد ترفاً، كما قد يفهم من اقتناء اولئك القلة للتفاخر بها، بل كان يعني فيما يعنيه انتشار العلم والثقافة بين جميع فئات المجتمع، وقد شهد الغربيون قبل غيرهم ندرة وجود أميين فيها، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعاني من تفشي الجهل.

الهوامش

(١) الصوفي، عبد اللطيف، لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، (دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦ م)، ص١٨٩.

(٢) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠)، ص٨٢.

(٣) الصوفي، لمحات من تاريخ الكتاب، ص١٨٦.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨٧–١٨٨.

(٥) محمد ماهر، المكتبات في الإسلام، ص٢٠٨.

(٦) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : احسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨)، ج١، ص٤٦٣.

(٧) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عصر الناصر، ط٣، (مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠)، ص٤٥٧.

(٨) ينظر : ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧٢١هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) ج٢، تحقيق : ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، (مطبعة ليدن، ١٩٥١)، ص٥٨-٦٠.

(٩) ابن خلودن، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩)، ج ٤، ص١٣٠.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص٩١.

(١١) ينظر : بروفنسال، ليفي، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة : ذوقان قرقوط، (دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت)، ص٦٩.

(١٢) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج١، (دار النهضة العربية) بيروت، ١٩٧١، ص٥٨.

(١٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص١٠٧، ١٠٩-١١٠.

(١٤) ينظر عثمان، محمد عبد العزيز، (دور الحكم المستنصر في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس) مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ١٩، العام ١٩٨٦ م (مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض)، ص١٠٠.

(١٥) حسين، حازم غانم،الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٣ م)، ص١٤٩.

(١٦) المرجع نفسه، ص١٤٩.

(١٧) يذكر (ريبرا) أن أسمه (محمد) ولم يشر إلى مصدره، بينما تذكره المصادر باسم (عبد الله). ينظر، ريبرا، خوليان، المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، مجلة المخطوطات العربية، المجلد الرابع، ج١ مايو ١٩٥٨م، ص٨٦.

(١٨) قيل أن الناصر، أمر بقتل أبنه عبد الله، لضلوعه في محاولة للانقلاب، أو الأستيلاء على السلطة، ابن الابار، أبو عبد الله بن الآبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، الحلة السيراء، تحقيق : عبد الله الطباع، (دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦٢)، ص٢٥٩.

(١٩) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٤، ص١٤٦.

(٢٠) ابن الأبار، الحلة السيراء، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٢١) ينظر : عنان، محمد عبد الله، الدولة العامرية وسقوط الخلافة الاندلسية، وهو الجزء الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط ١، (مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٨)، ص٢٠، ابن حزم، ابو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق : ليفي بروفنال، (دار المعارف، القاهرة، د. ت)، ص٩٢.

(٢٢) ينظر : ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت ٧٧٦هـ)، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : محمد عبد الله عنان، ط ٢، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣)، ص٤٧٨.

(٢٣) الكبيسي، د. خليل، تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، العددان : ٤١، ٤٢ لعام ١٩٩٠، (بغداد)، ص١٥٦.

(٢٤) ينظر : المقري، نفح الطيب، ج ١، ص٣٩٥.

(٢٥) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٤، ص١٤٦.

(٢٦) ينظر : الكبيسي، د. خليل، تشجيع الحكم المستنصر، ص١٥٢- ١٥٤.

(٢٧) ينظر : سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج١، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١)، ص١١٩.

(٢٨) ريبرا، المكتبات وهواة الكتب، ص٧٤-٧٥.

(٢٩) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، (مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، مقدمة الكتاب في ١٩٦٣).

(٣٠) الصوفي، لمحات من تاريخ الكتاب، ص٢٠٩.

(٣١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٢.

(٣٢) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٤، ص١٤٦، المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٦.
(٣٣) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص٣٩٥.
(٣٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٩٢
(٣٥) الكبيسي، تشجيع الحكم المستنصر، ص١٥٧. (لا يستغرب المستشرق خوليان ريبرا ذك العدد لمجموع الكتب نظراً لازدهار الحركة العلمية وكثرة الناسخين للكتب وشهرة الحكم في أقتناء الكتب – ينظر : ريبرا، ج ١، ص٢٨٨، ج٢ ص٧٣).
(٣٦) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ)، الصلة، (مطبعة روخس، مدينة مجريط، ٨٨٣م)، ص٣٠٥.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٣٠٤.
(٣٨) ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج١، ص٩٠.
(٣٩) ريبيرا، المرجع نفسه، ج٢، ص٧٥.
(٤٠) ريبيرا، المرجع نفسه، ص٧٥.
(٤١) فليح، رعد حسن، الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في القرن الخامس الهجري رسالة ما جستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٤)، ص٦٧.
(٤٢) ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ص٣٦٧ –٣٦٨.
(٤٣) ابن الفرضي، أبي الوليد بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ (ت ٤٠٣هـ) تاريخ علماء الأندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦)، ص٣٦٧–٣٦٨.
(٤٤) ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص٢٤٢–٢٤٤.
(٤٥) ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج٢، ص٩٢.
(٤٦) ينظر : ابن بشكوال، الصلة، ص٣١١–٣١٣.
(٤٧) ينظر : ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج٢،ص٧١.
(٤٨) ينظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٦٣، (للإطلاع على تلك القصة).
(٤٩) ينظر : ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج١، ص٩٣–٩٤.
(٥٠) حسين، حازم غانم، الحياة العلمية والثقافية، ص١٤٧.
(٥١) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٣٠.
(٥٢) المقري : نفح الطب، ج٤، ص٢٩٠، ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٣٠.

(٥٣) ابن بشكوال، المصدر نفسه، ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج١، ص٩٣.
(٥٤) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٣١-٦٣٢.
(٥٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣١.
(٥٦) ينظر : النقيب، د. أحلام مصطفى، " المرأة الأندلسية ودورها في الحياة الثقافية من عصري الأمارة والخلافة ١٢٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٢م "، مجلة المورد، المجلد ٢٧، العدد الأول – ١٤١٩هـ ١٩٩٩، (دار الشؤون الثقافية، بغداد)، ص٥٧.
(٥٧) ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج١، ص٩٤.
(٥٨) عنان، الدولة العامرية، ص٢٣.
(٥٩) ابن أبي أُصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي(ت٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، تحقيق : نزار رضا، (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥) ص٤٩٨.
(٦٠) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص٩٩.
(٦١) جرؤنيباوم، جوستاف، حضارة الإسلام، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، (مكتبة مصر، القاهرة، مقدمة المترجم في ١٩٥٦)، ص٨١-٨٢.
(٦٢) ينظر : ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج٢، ص٧٧.
(٦٣) حسين، حازم غانم، الحياة العلمية والثقافية، ص١٤٤.
(٦٤) هلال، الدكتور جودة، ومحمد محمود صبح، قرطبة من التاريخ الإسلامي، (وزارة الثقافة والارشاد القومي)، القاهرة، تسلل ٧٢، نوفمبر١٩٦٢) (دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢
(٦٥) المزروع، وفاء عبد الله بن سليمان، الخليفة الأموي الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦)هـ، (الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، د.ت) ص١٤٢.
(٦٦) مؤنس، حسين مؤنس، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد ١٣ (مدريد ١٩٦٥-١٩٦٦)، ص١٩٦.
(٦٧) المزروع، الخليفة الأموي الحكم المستنصر، ص١٢٦.
(٦٨) ينظر : الصوفي، لمحات من تاريخ الكتاب، ص٢١٧.
(٦٩) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص١٥٠.
(٧٠) المرجع نفسه، ص١٧٥.
(٧١) الصوفي، لمحات من تاريخ الكتاب، ص٢٢٣.

(٧٢) المرزع، وفاء، الخليفة الأموي الحكم المستنصر، ص١٣٢.

(٧٣) المقري، نفح الطيب،ج١، ص٣٨٥. (بينما يذكر ابن حزم أن اسمه (تأييد) ينظر، جمهرة أنساب العرب، ص٩٢، أما ابن خلدون فله أسم آخر يذكره وهو (بكية)، كتاب العبر، ج٤، ص١٤٦).

(٧٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٢.

(٧٥) الكبيسي، تشجيع الحكم المستنصر، ص١٥٦.

(٧٦) المرجع نفسه، ص١٥٦.

(٧٧) ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج١، ص٩٠.

(٧٨) ينظر، عثمان محمد عبد العزيز، دور الحكم المستنصر، ص١٠٤، بروفنسال، حضارة العرب، ص٧١.

(٧٩) ينظر : ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب، ج٢، ص٩٨.